

## آليات المطالعة الإلكترونية والتحصيل العلمي

### - التفاعل النصّي نموذجاً -

الدكتور نور الدين دحماني

جامعة عبد الحميد بن باديس

مستغانم-الجزائر

#### • تمهيد:

يشكّل فعل القراءة مقوّمًا حضارياً لكلّ الأمم، فهو مرتبط بمدى الارتقاء العقلي لأفرادها، وتهيئهم الفطري والنفسي والثقافي للتفاعل الإيجابي مع شتى الظواهر الكونية المحيطة بهم، فالعقل البشري وهو يسعى جاهداً إلى فكّ ألغاز تلك الظواهر كان فعله ذلك مظهراً من مظاهر القراءة، سيما وأن القراءة في تحديدها اللغوي تفيد الجمع والضمّ، فلا غرو أننا نجدهم يؤثرون هذا اللفظ للدلالة على ذلك النشاط الذهني الذي يتوخّى تجميع أكبر قدر ممكن من المعارف، وضمّ بعضها إلى بعض في الوعي الإدراكي للإنسان.

ويطمح هذا البحث إلى استقصاء أثر المطالعة الإلكترونية في التحصيل العلمي لدى الطلاب بشتى مستوياتهم العلمية من خلال آلية التفاعل. وتقتضي طبيعة الموضوع الانطلاق من الإشكالية الآتية: ما طبيعة بدائل المطالعة التقليدية في ظلّ عنفوان الثورة التكنولوجية التي طالت عالم المعرفة واقتناء المعلومة على غرار سائر المجالات الأخرى؟ وما مدى فاعلية التعلّم في ظلّ هذا الزحف الهائل لعملاق المعرفة المعاصرة الذي اصطلح عليه بالحاسوب، فضلاً عن تلك الشبكة التي تختزل العالم في ركن بعد أن كنّا نسمع بالأمس القريب عن العالم القرية؟ ماذا ينبغي أن تقدّمه المطالعة الرقمية للقراء عموماً ولفئة الطلاب خصوصاً، من خلال الآليات التي تقترحها؟ وما ذا نعني تحديداً بالتفاعل النصّي؟

## 1) مفهوم المطالعة العمومية:

### التحديد اللغوي:

يرتد الأصل الاشتقاقي للمطالعة إلى مادة طلع: طَلَعَتِ الشمس والقمر والفجر والنجوم تَطْلَعُ طُلُوعاً وَمَطْلَعاً وَمَطْلِعاً، فهي طَالِعَةٌ. وَأَطْلَعُ رأسه: إذا أَشْرَفَ على شيء. وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾. ومعناها هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار، فاطَّلَعَ المُسْلِمُ فرأى قَرِينَهُ في سواءِ الجحيم أي في وسط الجحيم. واستَطَّلَعَ رَأْيَهُ: نظر ما هو. وطَالَعْتُ الشيء: أي اطلَّعْتُ عليه. والطلُّعة: الرؤية. وطلُّعةُ الجيش: الذي يَطْلُعُ من الجيش يُبْعَثُ لِيَطَّلَعَ طَلْعَ العَدُوِّ، فهو الطَّلْعُ، بالكسر. ونخلة مُطَّلَعَةٌ: مُشْرِفَةٌ على ما حولها طالت النخيل و كانت أطول من سائرها. وقول الله عز وجل: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلَعُ عَلَى الْأَعْنَادِ﴾. قال الفراء: يَبْلُغُ الْمُهْمَا الْأَعْنَادَ، قال: والاطِّلاعُ والبُلُوعُ قد يكونان بمعنى واح<sup>1</sup>د.

### المطالعة اصطلاحاً:

المطالعة عبارة عن عملية فكرية، يتفاعل القارئ معها، فيقرأ بشكل سليم، ويفهم ما يقرأ، وينقده، ويستخدمه في حل ما يواجهه من مشكلات، وينتفع به في مواقف حياته. فالقراءة ليست مجرد النطق بالألفاظ والتراكيب والعبارات والقدرة على القراءة. لقد تغير هذا المفهوم وأصبحت القراءة. و من هنا إن القراءة المنفصلة عن الدقة والفهم والنظر لا يمكن أن تسمى مطالعة.

تعرف موسوعة "أونكارتا Encarta" القراءة كالآتي:

**Apprentissage de la lecture** : action d'apprendre à lire, à déchiffrer ce qui » est écrit. Le but ultime de l'action de lire est d'être capable de comprendre un «<sup>2</sup> matériel écrit, de l'évaluer et de l'utiliser en fonction de ses besoins.

أي: أنها تعلم القراءة وفك الخطوط المكتوبة، والهدف الجوهرى لفعل القراءة هو القدرة على فهم المكتوب وتقييمه واستخدامه لتلبية حاجاتنا.

وجاء في "الموسوعة الشاملة ENCICLOPAEDIA UNIVERSALIS":

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج8، ص532

2 - برنامج حاسوبي: 1993-2002 © Microsoft Encarta Collection 2003.

On sait que la «**lecture**» d'un texte est le résultat de la confrontation de l'acquit personnel de chacun avec les données qui lui sont proposées, sous forme d'une suite de signes symboliques .<sup>1</sup>«

بمعنى أن قراءة نصّ ما هي نتيجة مطابقة وتكييف الرصيد الشخصي لكل فرد منّا مع المعطيات التي تُعرض عليه من خلال صيغة تتابع العلامات الرمزية.

وقد عرّف "كارل غوستاف يونغ" المطالعة بأنها «الزيادة في الثروة اللغوية والفهم، وتنمية الرغبة في قراءة الكتب ونمو حركات العين المنتظمة وخفض الحركات الرجعية والوقفات والزيادة في سرعة القراءة والتركيز واستبعاد الصوت أثناء القراءة»<sup>2</sup>.

ويعرّفها أحد الباحثين المتخصّصين على أنها «نشاط اجتماعي وثقافي يمارسه الفرد بواسطة الوظائف النفسية العليا»<sup>3</sup>، ولعلّه يقصد بالوظائف النفسية العليا: التركيز والانتباه والتذكّر والذكاء والاستنتاج وغيرها. وقريبا من نحو ذلك يرى باحث آخر أن «مفهوم القراءة شهد تطورا مذهباً في ظل الجهود التي يبذلها التربويون وعلماء النفس وعلماء اللغة، فقد شمل الاهتمام بعمليات القراءة ما يجري داخل المتعلم أو القارئ من عمليات داخلية تحدث في الدماغ أثناء القراءة.. وفي ضوء هذا التطور أصبحت القراءة عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه وتتطلب هذه العملية فهم المعاني والربط بين الخبرة الشخصية وهذه المعاني وهي تتطلب عمليات نفسية وعقلية على درجة عالية من التعقيد»<sup>4</sup>. ومن هذا المنطلق تحسن الإشارة إلى ضرورة العناية بهذا النشاط لدى الأطفال منذ سنّ مبكرة، على اعتبار أن المحيط الأسري هو الفضاء الأول التي تتحدّد فيه بوادر الرغبة والميل نحو القراءة.

تعتبر المطالعة العمومية الحرّة تشاطا فكريا ومن أفضل الوسائل لتنمية الرغبة بالقراءة بعامة وتطويرها، ولكنها ليست بالمطلب الهين كما قد يتراءى للبعض، بل تتطلب عناية ورعاية شديدين، لأنها تقتضي أصولا وضوابط، وإلى هذا نجد أحد الباحثين يشير حينما قرّر بأنه « من الخطأ الاعتقاد أن المطالعة الحرّة سهلة ميسورة للجميع متى شاءوا، دون استعداد لذلك، أو دون رعاية خاصة، لأنها في تقديرهم ليست بحاجة إلى أصول وقواعد، وليس الأمر بهذه البساطة، أي أن يأخذ الإنسان كتابا ويطالع

1 - برنامج حاسوبي: **ENCYCLOPAEDIA UNIVERSALIS, Version 6**

2 - نقلا عن مقال للدكتور نور الدين تواتي، مفهوم عادة المطالعة، موقع القطيف، 23 01 2004، الرابط: [www.qatif.net](http://www.qatif.net)

3 - نور الدين تواتي، الرابط نفسه.

4 - محمد بن شديد البشري (جامعة الإمام محمد بن سعود)، المفهوم الحقيقي للقراءة، ينظر موقع المهّي على الرابط: [www.al-maqha.com](http://www.al-maqha.com)، 2009.

به متى شاء ويتركه متى شاء، انطلاقاً من كونها مطالعة حرّة»<sup>1</sup>. ومثل هذا الكلام يشي بضرورة تعهّد هذا النشاط الحيويّ بالتهذيب والتنظيم المبني على أسس علمية تراعي كلّ الخصوصيات الثقافية والاجتماعية.

تتأى المطالعة العمومية الحرّة عن الغاية التعليمية التي ترتبط بالمطالعة المدرسية والأكاديمية، لذلك نجد أن كلا هذين النمطين من المطالعة يختلفان بشكل واضح. إن غاية المطالعة العمومية تثقيفية بالمقام الأوّل، بما يفيد المقل عليها من رصيد معرفي يصدر في اكتسابه إن شئنا عن مبدأ العصامية، فعندما ينتقي الفرد كتاباً للمطالعة الحرّة يجد نفسه حرّاً غير متقيّد بحاجة تعليمية ما، وإنما يقبل على الكتاب بملء إرادته ورغبته، فقصارى ما ينشده إصابة المتعة والفائدة<sup>2</sup> وتمضية الفراغ بما يحبّ ويهوى.

للمطالعة العمومية الحرّة جملة من المزايا والفضائل منها أنها «تمكّن القراء من اكتساب ثروة لغوية معتبرة، وتحسين سرعة قراءتهم، وتطوير فهمهم، وتجويد كتابتهم، فضلاً عن زيادة ثقافتهم وإثراء معارفهم»<sup>3</sup>. كما لا يخفى ما لهذا النشاط التثقيفي من أثر بالغ في بناء المقدرة على الفهم والتحليل والمناقشة والنقد والاستنتاج، وتحقيق توازن شخصية الفرد والسموّ بطباعه بما يجعله توّاقاً إلى الانخراط في روح التحضّر، لذلك نجد أن الأمم المتقدّمة قد فطنت لهذا المجال من المطالعة وراحت تستثمر فيه بكلّ إمكاناتها البشرية والماديّة والثقافية إلى أبعد الحدود قصد الاقتراب من الإشباع المعرفي، ممّا جعلها تحقّق إنجازات عظيمة الشأن في المشهد الثقافي فاقت كلّ التوقّعات والتخمينات.

## (2) المطالعة العمومية الإلكترونية ومناهلها:

أفرزت العلاقة بين الإبداع الأدبي الذي يشغل قطاعاً واسعاً من المطالعة العمومية وتكنولوجيا الوسائط الحاسوبية ظهور مصطلحات تقنية متعدّدة منها الوسائط والتفاعل والترابط والإبحار والتجوال وغيرها، ونقتصر نحن هنا على مصطلح التفاعل. ولكن قبل ذلك يقتضي الأمر الوقوف عند مفهوم هامّ هو مفهوم الوسائط.

### ❖ مفهوم الوسائط Média:

الوسائط جمع وسيط، وهي تكنولوجيا الكتابة وحفظ ومعالجة ونشر المعلومات... وتستعمل الوسائط أيضاً للدلالة على أدوات أو وسائل التواصل بين الناس كالجريدة والمذياع والأسطوانة والكتاب والتلفاز والإنترنت... وهناك استعمالات أخصّ للوسائط حين تكون موصولة بـ «المتعدّدة» أو التفاعلية أو

1 - عبد اللطيف صوفي، فن القراءة: أهميتها - مستوياتها - مهاراتها - أنواعها، ص 230.

2 - نقلاً عن المرجع نفسه، ص 234.

3 - نفسه، ص 230.

المترابطة<sup>1</sup>. ولعلّ ما يهمنّا في هذا المقام هو **الوسائط المتعدّدة** التي تُستعمل في المجال السمعي البصري والمعلومات للدلالة على استعمال الأصوات والصور والخطاطات ومقاطع الموسيقى وتوظيفها جميعا بشكل متزامن<sup>2</sup>.

وتشتمل الوسائط الحاسوبية على ما يعرف بالأوعية الرقمية *supports numériques* (الإلكترونية) التي أصبح مجتمع المعلومات الغربي الحديث يعتمد عليها بقوة بفعل ظاهرة الطوفان الثاني مثلما يصطلح عليه الفيلسوف Pierre Levy بيير ليفي<sup>3</sup> الذي شهده العالم؛ إذ بدأت تظاهر الأوعية الورقية، وفي هذا الصدد يرى أحد الباحثين أن «عقد المعلومات التقليدي (المؤلف، الناشر، الطابع، المكتبة، القارئ) لم يعد اليوم للوسائط الرقمية كما هو للأوعية التقليدية - الورقية بعد أن بدأ النشر الإلكتروني يفرض نفسه على الساحة العلمية»<sup>4</sup>.

وفي السياق ذاته دائما تذهب الباحثة الألمانية المتخصصة في علم المكتبات أليس كيلر Alice Keller إلى أنه في حدود عام 2010 ستصبح لدى الدول المتقدّمة جميع المعلومات البيبليوغرافية عن الوثائق، وما في حكمها، وكذا عروض المعلومات المنزلية، بالإضافة إلى المعجمات اللغوية والأدلة الإرشادية *guides*، وما إلى ذلك، كلها ستصير إلكترونية، كما أنها توقّعت أن تكتسح الدوريات الإلكترونية الساحة العلمية بمعدّل 90 %، في حين أن الكتب الإلكترونية تكون موجودة بمعدّل 20 %<sup>5</sup>.

---

1 - سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط - مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي - بيروت / الدار البيضاء، ط1/2005، ص266.

2 - المرجع نفسه، ص 267.

ويُقصد بالوسائط المترابطة **Hypermédia** أن النص لا يقف عند حدود الربط بين النصوص المكتوبة، ولكنه بمقدوره تجاوز ذلك ليحتوي أيضا على الصورة والصوت والحركة... منفردة أو متصلة. وكلما كان إمكان الربط بن هذه المكونات كلها فإننا لا نغدو بإزاء النص المترابط فحسب بل نتجاوزه إلى الوسائط المترابطة...

أما الوسائط المتفاعلة **C.M.O.** أو **communication médiatisée par ordinateur** / فهو مصطلح بدأ تداوله في مطلع الثمانينيات في الأوساط الجامعية الأمريكية ليُشار به إلى التخصص الذي يبحث في الشكل الجديد للتواصل الذي يتحقّق بواسطة الحاسوب من خلال حضور البعد التفاعلي. فهذا البعد الذي يوفّره الحاسوب هو الذي جعله يتميّز عن غيره من وسائل التواصل الأخرى، أو الوسائط المتعدّدة كالمذياع والتلفاز والصحافة... السابقة على ظهور الحاسوب.

3 - Pierre Lévy- Essai sur la cyberculture . .

4 - عبد اللطيف صوفي، فن القراءة: أهميتها - مستوياتها - مهاراتها - أنواعها، ص279.

5 - ينظر المرجع نفسه، ص 279.

بينما ارتقت شركة مايكروسوفت أنه ابتداء من نفس السنة أيضا 2010 سيتواصل التراجع بقوة عن الإصدارات الورقية، بحيث لن تجد منذ عام 2020 دوريات أو صحفا مطبوعة في العالم الغربي وفق أدنى تقدير إلا في حدود ضيقة جدًا لا تستحق الذكر<sup>1</sup>.

ولعلّ وسائل المطالعة العمومية الإلكترونية تنحصر في الأنترنت (شبكة المعلومات العالمية) والبرامج الحاسوبية ضمن الأقراص المضغوطة CD-ROM. ومن جملة ما تحويه الوسائط الرقمية - شبكة الويب والبرامج المدمجة - هناك وعاء الكتب والدوريات الإلكترونية:

#### - أولاً: الكتب الإلكترونية:

الكتاب الإلكتروني هو إعادة إصدار رقمي للكتاب الورقي المطبوع، إذ هو في الأصل عملية نشر موازٍ له، إلا أنه إخراج إلكتروني له عنوان منفرد شأن المطبوع، وموضوع ينسجم مع هذا العنوان، وهناك تعريف له أورده معجم أكسفورد: « إنه نسخة إلكترونية من كتاب مطبوع، يمكن قراءتها عبر الحاسوب الشخصي، أو عبر جهاز يدوي خاصّ بهذا العرض»<sup>2</sup>.

وقد تمخّض التنامي التكنولوجي السريع عن ابتكار ما يسمّى بالكتاب الرقمي ضمن جهاز يدوي. ويعني الكتاب الإلكتروني جزآن مختلفان ومكملان لبعضهما البعض، وهما:

- آلة القراءة (**Hardware**): وهي عبارة عن جهاز عرض إلكتروني بحجم الكتاب، تُعرض فيه النصوص على شاشة الكريستال السائل، وقد غدت هذه الآلة متوفرة بالأسواق بعد أن ظلت حلماً.

- محتوى الكتاب الرقمي المُحمّل في الآلة (**Software**): ويمكن الحصول عليه من بعض المواقع الإلكترونية أو دور النشر الإلكترونية<sup>3</sup>.

ويعدّ سوق الكتاب الإلكتروني سوقاً حديثاً جداً، ينبئ بروج كبير. وقد أصدرت شركة ميكروسوفت نسختها المعدّلة لقارئ الكتاب الإلكتروني (E. Book Reader) عام 2000 وهي نسخة محسّنة ومطوّرة. كما ظهر في العام نفسه ما يسمّى (الكتاب الزجاجي)<sup>4</sup>.

ولا يزال الكتاب الإلكتروني مقتصرًا في حدود بعض الكتب الأكاديمية والعلمية، وينعدم وجوده ضمن مجالات القراءة الأخرى. فبالنسبة لدولة الكويت مثلاً يصدر بها المجلس الوطني للثقافة والفنون

1 - ينظر المرجع نفسه.

2 - ينظر: عبد اللطيف صوفي، فن القراءة: أهميتها - مستوياتها - مهاراتها - أنواعها، ص 284.

3 - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 40 وما بعدها.

4 - المرجع نفسه.

والآداب كتباً ضمن مجلة عالم المعرفة فضلاً عن كتب هامة أخرى أُعيد إصدارها إلكترونياً بموقع المصطفى على الويب، ومثل سوريا التي نجد هيئة اتحاد الكتاب العرب بها تخوض عباب هذه التجربة من خلال إصدار إلكتروني لدراسات الكتاب الأكاديميين العرب في مجال البحوث الأدبية والنقدية واللغوية والفكرية والقضايا الثقافية ونحوها، كما تمّ أيضاً تصميم موقع (المكتبة السورية)، ناهيك عن تجربة موقع الوراق الذي يشتمل على المكتبة التراثية الإلكترونية، بالإضافة إلى (دار ناشري - nashiri.net) التي ربّما تكون أول تجربة نشر إلكترونية عربية مجانية، وكذا دار (كتب أرابيا. كوم / kotoarabia.com) التي تعدّ أول دار تقصر اهتمامها على الطباعة الرقمية للكتب... ولا تزال بعض المنتديات العربية تمضي قدماً في هذا المضمار\*.

### - ثانياً: الدوريات الإلكترونية:

هي بتعريف مبسّط وعلى غرار الكتاب الإلكتروني إعادة نشر للدوريات الورقية بوعاء إلكتروني، أو نشر إلكتروني مباشر لها، دون وجود الورقية. ونجد الدكتور عيد اللطيف الصوفي يقنّبس من أحد الروابط التعريف الآتي: «إن أيّ دورية تكون موضوعة ومتوافرة على الإنترنت، يمكن تسميتها دورية إلكترونية، وفي بعض الحالات، لا تكون هذه الدورية متوافرة بالشكل الورقي بصورة موازية للشكل الإلكتروني، لأنها غير مطبوعة أصلاً. وقد تكون موجودة بالشكلين: الورقي والإلكتروني في آن واحد. بعض الدوريات الإلكترونية تكون موضوعة تحت التصرف بلا مقابل، وبعضها الآخر بمقابل، بعضها يصدر عن دور نشر، وبعضها الآخر عن مؤسسات أكاديمية، أو جمعيات علمية. وكما هو الأمر بالنسبة إلى الدوريات المطبوعة، فإن النوعية والمستوى والثقة المعلوماتية بهذه الدوريات تكون ذات أهمية كبيرة»<sup>1</sup>.

والدورية الإلكترونية حديثة عهد بالظهور إذ تعود إلى حوالي العقد الأخير من القرن الماضي أو قبله بقليل<sup>2</sup>، ومما تتميز به أنها:

- تعرض لجمهور الباحثين أحدث المعلومات العلمية ضمن مجال التخصص.

- إمكانية الدخول في عناصر الوسائط المتعدّدة.

---

\* - يتعدّد الإحصاء الدقيق لهذه المكتبات الإلكترونية، نظراً لتكاثرها المتواصل، والتي بدأت تتجلى في شكل موسوعات رقمية عديدة ضمن شتى التخصصات العلمية والاهتمامات الثقافية.

1 - ينظر عبد اللطيف صوفي، فن القراءة: أهميتها - مستوياتها - مهاراتها - أنواعها، ص 281.

2 - عبد اللطيف الصوفي، المراجع الرقمية والخدمات المرجعية في المكتبات الجامعية. قسنطينة: مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية، 2004، ص 52.

- تسهيل تقنيات البحث السريع، وتيسير عملية الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر بفضل آلية الفهرسة بحسب إما المؤلف أو الموضوع أو المقال.

- من مزاياها الأمان، إذ هي مكفولة الحفظ، فلا يُخشى ضياعها مهما تعددت الحواسيب المستخدمة في معالجتها وتحميلها.

- إمكانية تحميل مقالات محدّدة مختارة منها قصد استخدامها بالحاسوب الشخصي أو طباعتها.

وظهرت في الساحة العربية عدّة مجلّات تصدر بالوعاء الإلكتروني فضلا عن الوعاء الورقي نحو (الموقف الأدبي) و(التراث العربي) و(الآداب الأجنبية) الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ومجلّتي (نزوى) و(الاغتراب الأدبي) و(الكرمل)، ومجلة (علامات) التي تصدر عن موقع "سعيد بنكراد". كما ظهرت مجلّات أخرى تصدر بالوعاء الإلكتروني فقط مثل مجلّة (أفق) الثقافية ومجلّة (ألواح) ومجلّة (إيلاف) ومجلة (فكر ونقد) التي يشرف عليها المفكّر "محمد عابد الجابري".

#### ❖ مفهوم التفاعل Interactivité:

لو حاولنا استقصاء معنى كلمة «تفاعل» المشتقة من الجذر اللغوي (فعل) في معجم اللغويين فإننا لا نجد له أثرا، إلا ما تعلّق بالحديث عن الصيغ الصرفية، فقد تطرّق الزمخشري مثلا إلى وزن تفاعل فقال: «وتفاعل لما يكون من اثنين فصاعداً نحو تضارباً وتضاربوا»<sup>1</sup>. ومن معاني هذا الوزن أيضا قولنا: تتازعنا الحديث وتجادبنا الثوب وتتاسينا الأحقاد، إذا كان أصل الفعل مما يتعدى إلى مفعولين، وكذا قولنا: تغافلت وتجاهلت، إذا أردنا أن نبرز حالا ليست قائمة فينا، وقولنا: توانيت في الأمر وتفاضيته وتجاوزت الغاية، بمعنى فعلت. وقولنا: تباعد إذا كان فعلا مطاوعا لباعد.

وقد غدت التفاعلية مصطلحاً قائماً بذاته وفق الثقافة الغربية، في حين أنها لدى العرب لم تخرج عن كونها لفظة مثل سائر ألفاظ المعجم الأخرى. بيد أننا في المعجم الوسيط نجد كلمة تفاعل ترتبط بحقل الكيمياء، وقد تمّ تحديد مادّة (كيمياء) كالاتي: «التفاعل الكيميائي: أن تؤثر مادّة في مادّة أخرى فتغيّر تركيبها الكيميائي. أو هو تغيير كيميائي يحدث في المادّة بتأثير الحرارة أو الكهرباء ونحوهما»<sup>2</sup>.

1 - الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص 125.

2 - المعجم الوسيط، طبعة من إخراج إبراهيم مصطفى وآخرين - مجمع اللغة العربية / القاهرة - دار الدعوة - استانبول، 1989.

ولم يتمّ في حدود اطلاعنا تداول مصطلح **التفاعل** في التراث الأدبي النقدي القديم، ولكننا نلفي الاستخدام الأدبي والنقدي المعاصر<sup>1</sup> يحتفي بهذا المصطلح لا سيّما في حقل جماليات التلقّي والنظريات التي تتجه نحو القارئ. بيد أن هناك إشارات بسيطة على حدّ تعبير "فاطمة البريكي" إلى استخدام الدارسين العرب لمصطلح التفاعلية بالمدلول الذي تُستخدم به في الثقافة الغربية المعاصرة، التي تتخذ من العلاقة بين الأدب والتكنولوجيا محورا لها، ودعامة أساسية تتكئ عليها في إنتاجها على الصعيد الإبداعي والعلمي.

ومن ذلك مثلا الدراسة التي أنجزتها الدكتورة "عبير سلامة" والموسومة بـ « النصّ المتشعب ومستقبل الرواية»، التي تحدّثت فيها عن سعي الرواية الغربية لمواكبة العصر التكنولوجي، منذ ما يزيد عن ربع قرن، في الوقت الذي ركنت فيه الرواية العربية عند شكلها التقليدي، ولئن كانت قد ألمّت في دراستها بتعريف مصطلح الرواية التفاعلية غير أنها لم تقدّم تعريفا لمصطلح التفاعلية<sup>1</sup>.

وإضافة إلى ذلك يجمل بنا الإشارة إلى جهود الباحث المغربي "محمد أسليم" الذي عرض بموقعه على شبكة الويب\* عددا من الدراسات والمقالات التي تتناول هذه العلاقة؛ فقد حاول من خلال دراسة له أن يقدّم جردا للثقافة العربية عبر شبكة الويب، وهو ما أقرّ بصعوبته لعلّ أوضّحها في مستهلّ مقاله. وما يعيننا من تلك الدراسة إشارته النقدية إلى غياب البعد التفاعلي في عملية تصميم المواقع العربية، مستخدما مصطلح (تفاعلي) بنفس المفهوم المعاصر المتداول لدى الغربيين، فقد أخذ على تلك المواقع تقديمها للإبداع بنمط خطّي لا تزيد عن كونها نسخة عن الوعاء الورقي<sup>2</sup>.

ونقع على تعريف لهذا المصطلح ضبطه الباحث "سعيد يقطين" حيث يرى أن «التفاعل في الإعلاميات بمثابة عملية التبادل أو الاستجابة المزدوجة التي تتحقّق بين الإمكانيات التي يقدّمها النظام المعلوماتي للمستعمل، والعكس. ويمكن التدلّيل على ذلك من خلال نقر المستعمل على أيقونة مثلا للانتقال إلى صفحة أخرى، كما أن الحاسوب يمكن أن يطلب من المستعمل فعل شيء ما إذا أخطأ التصرف من خلال شريط يحمل معلومات على المستعمل أن يخضع لها لتحقيق الخدمة الملائمة. وهناك معنى آخر للتفاعل أعمّ، وهو ما يتمثّل في العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل ما بين الروابط لتشكيل النصّ بالطريقة التي تقيده، وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطّية التي يقوم بها قارئ الكتاب المطبوع.

<sup>1</sup> - من نماذج ذلك هناك كتاب (القراءة التفاعلية: دراسة لنصوص شعرية حديثة) لإدريس بلمليح، حيث ورد في مقدمته: « إن التفاعل عملية تواصلية تتمّ في المستوى الفنّي بين نصّ قادر على أن يستوعب قارئه، وقارئ قادر على أن يستوعب هذا النصّ. وتلك مسألة لا يمكن أن تتحقّق إلا بوجود مبدع كبير، أو نصّ في مميّز ومدّهبش».

1 - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 57.

\* - ينظر موقع محمد أسليم على الرابط: [www.addoubaba.com/asslim](http://www.addoubaba.com/asslim)

2 - محمد أسليم، المشهد الثقافي العربي في الإنترنت، الرابط: [www.addoubaba.com/asslim](http://www.addoubaba.com/asslim)

ولقد ظهرت أعمال أدبية كالرواية مثلا وغيرها تقوم على الترابط ما بين مختلف مكوناتها، وهي تنهض على أساس التفاعل أو القراءة التفاعلية»<sup>1</sup>.

ووفقا لهذه الآلية يتمكّن المُبجِر في غمرة تصفّحه لمختلف الموادّ القرائية الرقمية من كسر الرتابة الخطيّة التي درجت على ملازمة الأوعية الورقية، وتحديد مسار جديد لعملية القراءة ينتقيه هو حسب تركيزه، وتوجيه أفق انتظاره، ومدى استجابته لوقع الأثر، ولسائر آليات التلقي الأخرى. والقارئ الإلكتروني بهذا المنظور يصير طرفا مشاركا في عملية بناء النص الذي يضمحلّ فيه حضور المبدع وتتلاشى سلطته النصية.

وتحاول الباحثة المغربية "فاطمة البريكي" فهم مصطلح التفاعلية في ضوء المطالعة الأدبية، إذ ترى «أن هذه الصفة ليست حكرا على الأدب الإلكتروني الذي ينشأ في العالم الافتراضي، حينما أصبح النص الأدبي إلكترونيا، يصدر من مبدع إلكتروني، ليستقبله متلقّ إلكتروني أيضا؛ فقد كان الأدب كذلك قبل الإنترنت، وانتقاله من طور الورقية إلى طور الإلكترونية لم يكسبه صفة (التفاعلية)، ولكن هذه الصفة هي التي اكتسبت أبعادا جديدة بعد انتقال الأدب إلى الطور الإلكتروني، ودخوله العالم الافتراضي»<sup>2</sup>. فالأدب لا يحقّق حضوره إلا من خلال عملية التفاعل القائمة بين المختلفين معه، والذين تنتوّع طرائق تفاعلهم مع الأدب تبعاً لتنوّعهم.

#### ❖ مظاهر التفاعل ضمن المطالعة الرقمية:

من شأن التفاعل أن يتجاوز رتابة القراءة الخطية التي تميّز المقروئية التقليدية الورقية، ليتيح آفاق متنوّعة من القراءة تسهم فيها جميع الوظائف الذهنية للإنسان، ويترتّب عن ذلك أن التفاعل الرقمي يتخذ المظاهر الآتية:

- الانتقال من نص حاضر إلى نص غائب في إطار حقل معرفي أو إبداعي معيّن.
- الانتقال من نص حاضر إلى نص غائب في إطار حقلين معرفيين مختلفين.
- الانتقال من النص إلى الصورة بمختلف أنواعها وأنماطها الشمسية والبيانية، والعكس.
- الانتقال من النص إلى التسجيل السمعي البصري (الفيديو)، والعكس.
- الانتقال من النص إلى التسجيل الصوتي، والعكس.

1 - سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط - مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي - بيروت / الدار البيضاء، ط1/2005، ص259.

2 - فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 54 - 55.

وهذه المظاهر جميعها تشكل بفضل التفاعل نسقا مقروئيا مركّبا، يقضي الدخول في علاقات تتشكّل ما يسمّى بالنص المترابط.

### ❖ قيمة التفاعل في عملية التحصيل العلمي:

وبعد هذا يمكن الخلوص إلى أن للبعد التفاعلي ضمن المطالعة الإلكترونية أثرا حيويا في عملية التحصيل العلمي لا يقل أهمية عن المطالعة الورقية العادية، وذلك من خلال جملة المزايا المعرفية والمنهجية التي يمنحها للطلبة والتي يمكن حصرها في ما يأتي:

- على الصعيد المنهجي، وبفضل آلية التفاعل الرقمي لم يعد الطالب أسيرا لأحادية النمط الخطّي من المطالعة، الذي يعكف من خلاله على قراءة النصّ الواحد، بل غدا بإمكانه الاستفادة من مبدأ التزامن التي يتمكّن من خلالها من قراءة أكثر من نص في آن واحد، بل لم يعد المكتوب أهمّ بؤرة تستقطب انتباه الطالب، بل تعدّدت مظاهر المقروء كما بيّناه.

- ومنهجيا دائما يتميز التفاعل بمرونة عالية تيسّر للطلبة سبل الحصول على المادّة العلمية القاعدية دون تعقيد أو صعوبة، فضلا عن اقتصاد الجهد والوقت معا.

- تمكّن آلية التفاعل من تحديث المعارف والمعلومات، وجعلها في متناول الطلبة.

- ولا يخفى ما لهذه الآلية من أثر في صقل مهارات الطلبة وتنميتها، وبعث روح الاجتهاد والنشاط والحيوية لديهم.

- تعزّز آلية التفاعل فاعلية التعلّم الذاتي لدى الطالب، وتمنحه قدرا من التحرّر من وصاية المقرّر الدراسي، بشكل يجعله طرفا مشاركا في صياغة المقروء وتوجيهه كيفما أراد، مما يساعد الطالب على تكوين حقل اشتغال علمي متخصص، يتيح له النبوغ فيه.

- موازاة مع النشاط البيداغوجي العلمي، تنمّي آلية التفاعل الثقافة الموسوعية لدى الطالب، وتتيح له أن ينهل من شتى المعارف في آن واحد.

- تعين آلية التفاعل الطالب على استكشاف مواهبه وقدرات الابتكار لديه، فيغدو بمكنته تعزيز فاعلية الربط بين جزئيات المعرفة المختلفة بشكل يتيح له استثمار التصورات المكتسبة وتوظيفها في شتى النشاطات التي يقبل عليها.

### ❖ آثار التفاعل السلبية على التحصيل العلمي:

مثلما رأينا إيجابيات التفاعل التي تجعله نشاطا محفّزا من نواح معينة، نأتي الآن على ذكر بعض السلبيات والمحاذير التي يطرحها التعامل مع هذه الآلية:

- تقليص حجم التعامل الإنساني مع المقروء بشكل عام، والمحتوى العلمي بشكل خاص، واتسام عملية التعلّم بطابع الآلية والجفاء نوعا ما، حيث يعدم نشاط القراءة استحضار القيم وتقاليد القراءة التي من شأنها بناء الذات.

- تشتت انتباه الطالب وتقلص حدّة تركيزه أمام التراكم المعرفي الذي يحاصره أينما ضغط على بؤرة معينة. وهذا من أعقد الآفات الملحوظة في عصرنا التي تعوق الطالب في عملية الإلمام المتأني بالمادة التي يروم تحصيلها في نطاق تخصصه المعرفي.

- تراجع روح التحكّم المنهجي لدى الطالب، إذ يغدو جراء انهيار السيول المعرفية وتدقق النظريات وغزارة المادّة مما غدا السمة العامة للمحتوى الرقمي؛ ضحية الفوضى والعشوائية في كيفية تلقّي المعلومات. فغالبا ما يحيد الطلبة عن المنهاج وتراجع كفاءة استخدامه في إعداد البحوث.

- مع التشعبات اللامتناهية التي يحدثها التفاعل النصي تنتاب الطالب الذي يجد نفسه ضمن متاهات النصوص المترابطة حالة من القلق والاضطراب قد تنعكس على توازنه النفسي والذهني.

- تشحن آلية التفاعل الطلبة بالقابلية الاستهلاكية لكل ما هو جاهز التي ينحسر أمامها هامش التجربة والتحليل والنقد والمناقشة الذي يميّز المقروئية التقليدية الخطية.

- والتفاعل بحدّ ذاته آلي لا يفرّق بين الغثّ والسمين، وبين الضارّ والمجدي، وبين الأكاديمي وخلافه؛ لذلك لا يضمن دوما توفير قدر من الصرامة والأمانة العلميين للطلبة بما يستند إلى سند علمي يتماشى والمقررات والمناهج.

- تتأى آلية التفاعل بالطالب عن التعمّق في استقصاء الموضوعات، لتلقي به في السطحية، إذ يتعدّر عليه المتابعة والتمعّن وعملية تكرار القراءة بغية الفهم الأمثل.

وفي الختام يمكن الخلوص إلى أن آلية التفاعل سلاح ذو حدّين، يتحمّم التعامل معه في سياق عملية التعلّم بمنتهى الحذر والفتنة، والأصل فيه أنه نافع غالبا لأنه جاء كحتمية تكنولوجية مكملّة للمطالعة الورقية الخطية المألوفة التي تعدّ سندا لا مناص منه في التحصيل العلمي، وليس تمرّدا عليها وإقصاء لها، وإن كان الكثير يرى فيه مبيّرا لانهيار سلطة المقروء، بل سلطة المؤلّف بحدّ ذاته، لتحلّ محلّه سلطة جديدة تفرضها الرقمية، ومع ذلك تأبى آلية التفاعل بصرف النظر عن الحلول التي اقترحتها إلا أن تطرح هذا الإشكال: هل يمكن أن نسمّي الطالب المقبل على المطالعة الإلكترونية قارئاً بالمفهوم الدارج، أم تراه لا يعدو أن يكون مجرد مستخدم للمعلومات usager لا أكثر ولا أقلّ؟

## • بيبلوغرافيا:

- 1- عبد اللطيف صوفي، فن القراءة: أهميتها - مستوياتها - مهاراتها - أنواعها
- 2- عبد اللطيف صوفي، المراجع الرقمية والخدمات المرجعية في المكتبات الجامعية. قسنطينة: مخبر تكنولوجيا المعلومات ودورها في التنمية الوطنية، 2004.
- 3- سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط - مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي - بيروت / الدار البيضاء، ط1/2005.
- 4- فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، ط1، 2006.
- 5- المعجم الوسيط، طبعة من إخراج إبراهيم مصطفى وآخرين - مجمع اللغة العربية / القاهرة - دار الدعوة - استانبول، 1989.

Pierre Lévy, Essai sur la cyberculture , La Découverte, Paris.

## • البيبلوغرافيا الرقمية:

- أمية الانترنت في العالم العربي وسبل مكافحتها، موقع شبكة النبا، شبكة النبا المعلوماتية، [www.annabaa.org](http://www.annabaa.org) ، الاثنين 26 آذار 2007.
- التتور التقني، مفهومه وسبل تحقيقه، د. ماهر إسماعيل صبري - د. محب محمود كامل، موقع المحيسن [www.mohyssin.com](http://www.mohyssin.com)
- المفهوم الحقيقي للقراءة، محمد بن شديد البشري (جامعة الإمام محمد بن سعود)، موقع المقهى على الرابط : [www.al-maqha.com](http://www.al-maqha.com) ، 2009.
- مفهوم عادة المطالعة، نور الدين تواتي، موقع القطيف، 23 01 2004، الرابط: [www.qatif.net](http://www.qatif.net).
- برمجية حاسوبية مدمجة:

**Microsoft ® Encarta ® Collection 2003. © 1993-2002 Microsoft Corporation.**

- برمجية حاسوبية مدمجة:

**ENCYCLOPAEDIA UNIVERSALIS Ver. 6.**